الباب الثالث
فوائد الإيمان بالقضاء والقدر

الاطمئنان بالله وعدم الجزع؛ إذ قد كَتب كل شيء فلابد من حدوث ما كتبه فلا يجزع العبد إذ اختيار الله له خير من اختياره هو لنفسه، والله رحيم حليم.

✿ رأى إبراهيم بن أدهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا مهمومًا فقال له: أيها الرجل! إني سائلك عن ثلاث. فأجبني. قال الرجل: نعم. قال له إبراهيم: أيجري في هذا الكون شيء لا يريده الله؟! قال: كلا. قال إبراهيم: أفينقص من رزقك شيء قدره الله؟! قال: كلا، فقال له إبراهيم: أفينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة؟! قال: كلا، فقال له إبراهيم: فعلام الهم إذن؟

✿ التوكل على الله وحده وعدم المبالاة بالناس كلهم، فلو اجتمعوا على ضره أو نفعه ولم يرد الله ذلك فلن يستطيعوا.

جاء رجل إلى الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: ما سرُّ زهدك في الدنيا يا إمام؟

فقال: أربعة أشياء: علمت أن رزقي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي.

وعلمت أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي.

وعلمت أن الله مُطَّلع عليَّ فاستحييت أن يراني على معصية.

وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربي.

✿ عدم السخط على ما قدره الله من أمور الدنيا؛ فإن ذلك يفتح عمل الشيطان.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما من مصيبة تصيبني إلا رأيت خلالها ثلاثة فوائد قد أنعم الله بها عليّ:

الأولى - أن هذه المصيبة لم تكن في ديني؛ فإن المصيبة إن كانت في الدين كانت بلية عظيمة ربما يخسر الإنسان بها نفسه دنياه وآخرته.

والثانية - أن هذه المصيبة لم تكن أكبر من ذلك؛ فما من مصيبة إلا ولها أكبر منها.

الثالثة - أن الله رزقني الصبر عليها فإن الصبر والاحتساب هما صمام الأمان يخفف الله به هذه المصيبة عند وقوعها.

۞ الإيمان بحكمة الله الباهرة؛ حيث ما خلق شيئًا إلا لحكمة حتى ما يبدو فيه شر فإنه يترتب عليه خير عظيم.

۞ الإيمان بعلم الله الشامل، حيث وجه كل صنف لما يصلح له، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٥].

۞ الثقة في اختيار الله لعبده وعدم الحزن على فقد ولد أو زوج أو حبيب، فهذا الغلام الذي قتله الخضر لو عاش لكفر ولأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا، فلا تحزن على فقد حبيبك، فربما لو عاش حبيبك لجرَّك إلى المعصية.

قال حكيم: «اجتنب سبع خصال يسترح جسمك وقلبك ويسلم لك عرضك ودينك:

١- لا تحزن على ما فاتك.

٢- ولا تحمل همَّ ما لم ينزل.

٣- ولا تلم الناس على ما فيك مثله.

٤- ولا تطلب الجزاء على ما لم تعمل.

٥- ولا تنظر بشهوة إلى ما لم تملك.

٦- ولا تغضب على من لم يضره غضبك.

٧- ولا تمدح من لم يعلم من نفسه خلاف ذلك.

obeikandl.com

* المؤمن بالقدر دائمًا على حذر:

المؤمنون بالقدر دائمًا على حذر ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، فقلوب العباد دائمة التقلب والتغير، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، والفتن التي توجه سهامها إلى القلوب كثيرة، والمؤمن يحذر دائمًا أن يأتيه ما يضله كما يخشى أن يختم له بخاتمة سيئة، وهذا لا يدفعه إلى التكاسل والخمول، بل يدفعه إلى المجاهدة الدائبة للاستقامة، والإكثار من الصالحات، ومجانبة المعاصي والمويقات.

كما يبقى قلب العبد معلقًا بخالقه، يدعوه ويرجوه ويستعينه، ويسأله الثبات على الحق، كما يسأله الرشد والسداد.

* عدم العُجْبِ بالعمل الصالح؛ إذ هو منةٌ من الله وتوفيقٌ منه أصلًا.

* دَوَام اللجوء إلى الله والتضرع إليه بالتوفيق لكل طاعة؛ إذ المسلم يحتاج إلى فضل الله في كل نَفَس، وفي الحديث: «ولا تَكِلْني إلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدًا»[1].

* التفريق بين المحبة والإرادة، فليس كل ما أراده الله أحبه وليس كل ما أحبه أوجده فقد شرع لعباده ما يُحِبّ، ولكن جعلهم يتصرفون بإرادتهم، فمنهم من يطيع ومنهم من لا يطيع.

* الإيمان بالقدر طريق الخلاص من الشرك:

ولا يتم توحيد الله إلا لمن أقر أن الله وحده الخالق لكل شيء في الكون، وأن إرادته ماضية في خلقه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فكل المكذبين بالقدر لم يوحِّدوا ربهم، ولم يعرفوه حقَّ معرفته، والإيمان بالقدر مفرق طريق بين التوحيد والشرك. فالمؤمن بالقدر

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/ ٤٤٩) رقم (٢٢٧).

يُقِرُّ بأن هذا الكون وما فيه صادر عن إله واحد ومعبود واحد، ومن لم يؤمن هذا الإيمان فإنه يجعل من دون الله آلهة وأربابًا.

الاستقامة على منهج سواء في السراء والضراء:

العباد بما فيهم من قصور وضعف لا يستقيمون على منهج سواء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٢].

والإيمان بالقدر يجعل الإنسان يمضي في حياته على منهج سواء، لا تبطره النعمة، ولا تيئسه المصيبة، فهو يعلم أن كل ما أصابه من نعم وحسنات من الله، لا بذكائه وحسن تدبيره ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، فإذا أصاب العبد الضراء والبلاء علم أن هذا بتقدير الله ابتلاء منه، فلا يجزع ولا ييأس، بل يحتسب ويصبر، فيسكب هذا الإيمان في قلب العبد المؤمن الرضا والطمأنينة، ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

وقد امتدح الله عباده: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧].

* السعي بكل مستطاع في أسباب الهداية وترك المستطاع من أسباب الغواية؛ إذ كلٌّ ميسَّر لما خلق له، فمن سعى في الخير فُتِحَ له، ومن سعى في الشر فُتِحَ له.

مواجهة الصعاب والأخطار بقلب ثابت:

إذا آمن العبد بأنَّ كل ما يصيبه مكتوب، وآمن أن الأرزاق والآجال بيد الله، فإنه يقتحم الصعاب والأهوال بقلب ثابت وهامة مرفوعة، وقد كان هذا الإيمان من أعظم

ما دفع المجاهدين إلى الإقدام في ميدان النزال غير هيابين ولا وجلين، وكان الواحد منهم يطلب الموت في مظانه، ويرمي بنفسه في مضائق يظن فيها هلكته، ثمَّ تراه يموت على فراشه، فيبكي أن لم يسقط في ميدان النزال شهيدًا، وهو الذي كان يقتحم الأخطار والأهوال.

وكان هذا الإيمان من أعظم ما ثبَّت قلوب الصالحين في مواجهة الظلمة والطغاة، لا يخافون في الله لومة لائم؛ لأنهم يعلمون أن الأمر بيد الله، وما قدر لهم سيأتيهم.

وكانوا لا يخافون من قول كلمة الحق خشية انقطاع الرزق، فالرزق بيد الله، وما كتبه الله لعبده من رزق لا يستطيع أحد منعه، وما منعه الله لعبد من عبيده لا يستطيع أحد إيصاله إليه.

✿ الإيمان بعظمة الله؛ إذ جبر العباد على مراده بإرادتهم هم فسبحانه لا يظلم أحدًا.

✿ الاقتناع التام بعدم ظلم الله لأحد، فالإنسان يفعل بإرادته ومشيئته هو، نَعَمْ هي تابعة لمشيئة الله، ولكن قد جعل الله له اختيارًا.

✿ اعتراف العقل بالعجز إذ لا يَعْقِل كيفيةَ كثير من الغيبيات، فهو قاصر، ولكن عليه التسليم والاقتناع التام بعدل الله.

✿ الإيمان بالغيب، إذ يؤمن المؤمن بأشياء لا يعقل كيفيتها مع معرفته لمعناها وتصديقه التام بعدل الله ومسؤولية الإنسان.